

تفسير القرآن الكريم

٥ ٩-١٢-١٤٠١ سورة الجن

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا
إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١)

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا
أَحَدًا (٢)

وَ أَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ
صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)

وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ
شَطَطًا (٤)

وَ أَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَ
الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥)

وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ
يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦)

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن
يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧)

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا
مُلِيتٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا (٨)

وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَ شَهْبًا

- ثم حكى ان الجن قالت (أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) أى مسسناها بأيدينا.
- و قال الجبائي: معناه إنا طلبنا الصعود الى السماء، فعبر عن ذلك باللمس مجازاً،
- و انما جاز من الجن تطلب الصعود مع علمهم بأنهم يرمون بالشهب لتجويزهم أن يصادفوا موضعاً يصعدون منه ليس فيه ملك يرميهم بالشهب،
- او اعتقدوا أن ذلك غير صحيح، و لم يصدقوا من أخبرهم بأنهم رموا حين أرادوا الصعود

وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهَبًا

• (فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهَبًا)

• نصب (حرساً) على التمييز و (شديداً) نعته و (شهباً) عطف على (حرساً) فهو نصب ايضاً على التمييز. و تقديره ملئت من الحرس.

• و الشهب جمع شهاب، و هو نور يمتد من السماء من النجم كالنار. قال الله تعالى «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ» «٢» و الحرس جمع حارس.

• و قيل: إن السماء لم تحرس قط إلا لنبوء أو عقوبة عاجلة عامة.

• (٢) سورة ٦٧ الملك آية ٥

وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَ شَهْبًا

- قوله تعالى: «وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَ شَهْبًا» لمس السماء الاقتراب منها بالصعود إليها، و الحرس - على ما قيل - اسم جمع لحارس و لذا وصف بالمفرد و المراد بالحرس الشديد الحفاظ الأقوياء في دفع من يريد الاستراق منها و لذا شفع بالشهب و هي سلاهم.

وَ أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ
فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا
رَّصَدًا (٩)

أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ

- ثم حكى أنهم قالوا ايضاً (أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ، فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَاباً رَصِداً) أى لم يكن فيما مضى منع من الصعود فى المواضع التى يسمع منها صوت الملائكة و كلامهم، و يسمع ذلك، فالآن من يستمع منا ذلك يجد له شهاباً يرمى به و يرصد و (شهاباً) نصب على أنه مفعول به و (رصداً) نعته.

أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ

- قوله تعالى: «وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَاباً رَصِداً» يفيد انضمام صدر الآية إلى الآية السابقة أن ملء السماء بالحرس الشديد و الشهب مما حدث أخيراً و أنهم كانوا من قبل يقعدون من السماء مقاعد لاستماع كلام الملائكة و يفيد ذيل الآية بالتفريع على جميع ما تقدم أن من يستمع الآن منا بالقعود منها مقعدا للسمع يجد له شهاباً من صفته أنه راصد له يرميه به الحرس.

وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَ شَهْبًا

- فيتحصل من مجموع الآيتين الإخبار بأنهم عثروا على **حادثة سماوية** جديدة مقارنة لنزول القرآن و بعثة النبي ص و هي منع الجن من تلقي أخبار السماء باستراق السمع.
- فيتحصل من مجموع الآيتين الإخبار بأنهم عثروا على **حادثة سماوية** جديدة مقارنة لنزول القرآن و بعثة النبي ص و هي منع الجن من تلقي أخبار السماء باستراق السمع.

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَبًا

- و من عجيب الاستدلال ما عن بعضهم أن في الآيتين ردا علي من زعم أن الرجم حدث بعد مبعث رسول الله ص لظهور قوله: «ملئت حرساً» في أن **الحادث** هو الملء و **كثرة الحرس لا أصل الحرس**،
- و ظهور قوله: «نَقَعْدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ» في أنا كنا نجد فيها **بعض المقاعد خاليا من الحرس و الشهب**، و الآن ملئت المقاعد كلها فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا.

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَابًا

- و يدفعه أنه لو كان المراد بالآيتين هو الإخبار عن ملء السماء بالحرس و تكثير عددهم بحيث لا يوجد فيها مقاعد خالية منهم و قد كانت توجد قبل ذلك كان الواجب أن يتوجه النفي في قوله: «فَمَنْ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا» إلى السمع عن جميع المقاعد قبال إثبات السمع من بعض تلك المقاعد لا نفي مجرد السمع.

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَ شَهْبًا

- سلمنا أن المراد نفى السمع على الإطلاق و هو يكفي في ذلك لكن تعلق الغرض في الكلام بالإخبار عن الامتلاء بالحرس مع كون بعض المقاعد خالية عنهم قبل ذلك، و كذا تقييد قوله: «فمن يستمع» إلخ، بقوله: «الآن» يدل على حدوث أمر جديد في رجم الجن و هو استيعاب الرجم لهم في أى مقعد قعدوا و المنع من السمع مطلقا بعد ما كانوا يستمعون من بعض المقاعد من غير منع، و هذا المقدار كاف للمدعى فيما يدعيه.

وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَ شَهَبًا

- و ليتنبه أن مدلول الآية حدوث رجم الجن **بشهاب رصد** و هو غير **حدوث الشهاب السماوي** و هو ظاهر فلا ورود لما قيل: إن الشهب السماوية كانت من الحوادث الجوية الموجودة قبل زمن النبي ص و نزول القرآن.
- وجه عدم الورد أن الذى يظهر من القرآن حدوث رجم الشياطين من الجن بالشهب من غير تعرض لحدوث أصل الشهب، و قد تقدم فى تفسير أول سورة الصافات بعض ما يتعلق بهذا المقام.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- قوله تعالى: «وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا»
- **الصافات** - على ما قيل - جمع صافئة و هي جمع صاف، و المراد بها على أى حال الجماعة التي تصطف أفرادها
- **و الزاجرات** من الزجر و هو الصرف عن الشيء بالتخويف بدم أو عقاب
- **و التاليات** من التلاوة بمعنى القراءة.
- و قد أقسم الله تعالى بهذه الطوائف الثلاث: الصافات و الزاجرات و التاليات و قد اختلفت كلماتهم في المراد بها:

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- فأما الصافات **فقيل**: إن المراد بها الملائكة تصف أنفسها في السماء صفوفًا كصفوف المؤمنين في الصلاة، و **قيل**: إنها الملائكة تصف أجنحتها في الهواء إذا أرادت النزول إلى الأرض واقفة في انتظار أمر الله تعالى، و **قيل**: إنها الجماعة من المؤمنين يقومون في الصلاة أو في الجهاد مصطفين.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- و أما الزاجرات **فقيل**: إنها الملائكة تزرع العباد عن المعاصي فيوصله الله إلى قلوب الناس في صورة الخطرات كما يوصل وساوس الشياطين، و **قيل**: إنها الملائكة الموكلة بالسحاب تزرعها و تسوقها إلى حيث أراد الله سبحانه، و قيل: هي زواجر القرآن و هي آياته الناهية عن القبائح، و قيل: هم المؤمنون يرفعون أصواتهم بالقرآن عند قراءته فيزجرون الناس عن المنهيات.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- و أما التاليات **فقيل**: هم الملائكة يتلون الوحي على النبي الموحى إليه، و **قيل**: هي الملائكة تتلو الكتاب الذي كتبه الله و فيها ذكر الحوادث، و قيل: جماعة قراء القرآن يتلونونه في الصلاة.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

• و **يحتمل** - و الله العالم - أن يكون المراد بالطوائف الثلاث المذكورة في الآيات طوائف الملائكة النازلين بالوحي المأمورين بتأمين الطريق و دفع الشياطين عن المداخله فيه و إيصاله إلى النبي مطلقاً أو خصوص محمد ص كما يستفاد من قوله تعالى: «عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتٍ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ:» الجن: - ٢٨.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- و عليه فالمعنى أقسم بالملائكة الذين يصفون في طريق الوحي صفا فبالذين يزجرون الشياطين و يمنعونهم عن المداخلة في الوحي فبالذين يتلون على النبي الذكر و هو مطلق الوحي أو خصوص القرآن كما يؤيده التعبير عنه بتلاوة الذكر.
- و يؤيد ما ذكرنا وقوع حديث رمي الشياطين بالشهب بعد هذه الآيات، و كذا قوله بعد: «فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا» الآية كما سنشير إليه.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- وهذه أول سورة في القرآن صدرت بالقسم و قد أقسم الله سبحانه في كلامه بكثير من خلقه كالسمااء والأرض والشمس والقمر والنجم والليل والنهار والملائكة والناس والبلاد والأثمار، وليس ذلك إلا لما فيها من الشرف باستناد خلقها إليه تعالى وهو قيومها المنبع لكل شرف وبهاء.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- قوله تعالى: «إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ» المراد بالزينة ما يزين به، و الكواكب بيان أو بدل من الزينة و قد تكرر حديث تزيين السماء الدنيا بزينه الكواكب في كلامه كقوله: «وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ:» حم السجدة: - ١٢ و قوله: «وَلَقَدْ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ:» الملك: - ٥، و قوله: «أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ زَيْنَاهَا:» ق: - ٦.

- و لا يخلو من ظهور في كون السماء الدنيا من السماوات السبع التي يذكرها القرآن هو عالم الكواكب فوق الأرض و إن وجهه بعضهم بما يوافق مقتضى الهيئة القديمة أو الجديدة.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- قوله تعالى: «وَ حَفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ» حفظًا مفعول مطلق لفعل محذوف و التقدير و حَفَظْنَاهَا حَفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، و المراد بالشيطان الشرير من الجن و المارد الخبيث العارى من الخير.
- قوله تعالى: «لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يُقَذِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ» أصل «لَا يَسْمَعُونَ» لا يتسمعون و التسمع الإصغاء، و هو كناية عن كونهم ممنوعين مدحورين و بهذه العناية صار وصفا لكل شيطان و لو كان بمعنى الإصغاء صريحا أفاد لغوا من الفعل إذ لو كانوا لا يصغون لم يكن وجه لقذفهم.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- و الملاء من الناس الأشراف منهم الذين يملئون العيون، و الملاء الأعلى هم الذين يريد الشياطين التسمع إليهم و هم الملائكة الكرام الذين هم سكنة السماوات العلى على ما يدل عليه كلامه تعالى كقوله: «لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا:» الإسراء: - ٩٥.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- و قصدهم من التسمع إلى الملائ الأعلی الاطلاع على أخبار الغيب المستوردة عن هذا العالم الأرضی كالحوادث المستقبله و الأسرار المكنونه كما يشير إليه قوله تعالى: «و ما تنزلت به الشياطين و ما ينبغي لهم و ما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون:» الشعراء: - ٢١٢، و قوله حكاية عن الجن: «و أنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً و شهاباً و أنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً:» الجن: - ٩.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- و قوله: «و يَقْذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ» القذف الرمي و الجانب الجهة.
- قوله تعالى: «دَحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ» الدحور الطرد و الدفع، و هو مصدر بمعنى المفعول منصوب حالاً أى مدحورين أو مفعول له أو مفعول مطلق، و الواصب الواجب اللازم.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ» الخطفَةُ الاختلاس و الاستلاب، و الشهاب ما يرى في الجَو كالكوكب المنقض، و الثقوب الركوز و سمي الشهاب ثاقبا لأنه لا يخطئ هدفه و غرضه.
- و المراد بالخطفَةُ اختلاس السمع و قد عبر عنه في موضع آخر باستراق السمع قال تعالى: «إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ:» الحجر:- ١٨، و الاستثناء من ضمير الفاعل في قوله: «لَا يَسْمَعُونَ» و جوز بعضهم كون الاستثناء منقطعا.

كلام الميزان فى تفسير سورة الصافات

- و معنى الآيات الخمس: أنا زينا السماء التى هى أقرب السماوات منكم - أو السماء السفلى بزينة و هى الكواكب، و حفظناها حفظا من كل شيطان خبيث عار من الخير ممنوعين من الإصغاء إلى الملا الأعلى - للاطلاع إلى ما يلقون بين أنفسهم من أخبار الغيب - و يرمون من كل جهة حال كونهم مطرودين و لهم عذاب لازم لا يفارقهم إلا من اختلس من أخبارهم الاختلاسه فأتبعه شهاب ثاقب لا يخطئ غرضه.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

(كلام في معنى الشهب)

أورد المفسرون أنواعاً من التوجيه لتصوير استراق السمع من الشياطين و رميهم بالشهب و هي مبنية على ما يسبق إلى ذهن من ظاهر الآيات و الأخبار أن هناك أفلاكاً محيطة بالأرض تسكنها جماعات الملائكة و لها أبواب لا يلج فيها شيء إلا منها و أن في السماء الأولى جمعا من الملائكة بأيديهم الشهب يرصدون المسترقين للسمع من الشياطين فيذفونهم بالشهب.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- و قد اتضح اليوم اتضاح عيان بطلان هذه الآراء و يتفرع على ذلك بطلان الوجوه التي أوردوها في تفسير الشهب و هي وجوه كثيرة أودعوها في المطولات كالتفسير الكبير، للرازي و روح المعاني، للآلوسي و غيرهما.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- و يحتمل - و الله العالم أن هذه البيانات في كلامه تعالى من قبيل الأمثال المضروبة تصور بها الحقائق الخارجة عن الحس في صورة المحسوس لتقريبها من الحس و هو القائل عز و جل: «و تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ:» العنكبوت: - ٤٣. الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص: ١٢٥
- و هو كثير في كلامه تعالى و منه العرش و الكرسي و اللوح و الكتاب و قد تقدمت الإشارة إليها و سيجيء بعض منها.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

• و على هذا يكون المراد من السماء التى تسكنها الملائكة عالما ملكوتيا ذا أفق أعلى نسبته إلى هذا العالم المشهود نسبة السماء المحسوسة بأجرامها إلى الأرض، و المراد باقتراب الشياطين من السماء و استراقهم السمع و قذفهم بالشهب اقترابهم من عالم الملائكة للاطلاع على أسرار الخلقة و الحوادث المستقبلية و رميهم بما لا يطيقونه من نور الملكوت، أو كرتهم على الحق لتلبيسه و رمى الملائكة إياهم بالحق الذى يبطل أباطيلهم.

كلام الميزان في تفسير سورة الصافات

- و إirاده تعالى قصة استراق الشياطين للسمع و رميهم بالشهب عقيب الإقسام بملائكة الوحي و حفظهم إياه عن مداخلة الشياطين لا يخلو من تأييد لما ذكرناه و الله أعلم.